

اثباتُ الرّجعة

تاليف
علي آل محسن



إثبات الرجعة

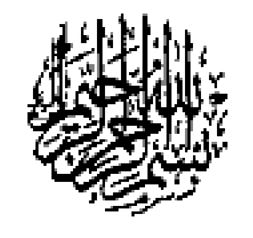




تأليف
علي آل محسن



الطبعة الأولى ـ ١٤٢٩هـ



﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

سورة البقرة: ٢٨





مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين، وبعد:

فهذه رسالة مختصرة في بيان عقيدة الرجعة، وهي من عقائد الشيعة الإمامية التي كانت محل أخذ ورد وتشنيع من قبل خصومهم.

وهي عقيدة إسلامية دلّت عليها الآيات القرآنية الكثيرة، وأثبتتها الأحاديث الصحيحة، ووقعت مكرَّرة في الأمم السالفة، وورد في صحاح الأخبار أنها ستقع في هذه الأمة.

إلا أن بعض علماء المذاهب الإسلامية الأخرى تلقَّوا إنكار الرجعة من أسلافهم، فأخذوا هذا الإنكار أخذ المسلَّمات، وشنَّعوا على من يقول بها من غير تأمل ولا رويَّة، فوقعوا في الخطأ الذي وقع فيه أسلافهم.

ونحن في هذه الرسالة الموجزة سنبيِّن المراد بالرجعة التي نقول بها، وسنستدل عليها بما ورد في القرآن الكريم والأحاديث التي وردت في كتب مخالفي الشيعة الإمامية، وكلمات علمائهم المعروفين التي ذكروها في كتبهم المشهورة، سائلين المولى سبحانه أن ينفع بها المؤمنين بمنِّه ولطفه وكرمه، إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

٢٠/٦/١٤٢٩هـ علي آل محسن

ما هي الرجعة؟

الاعتقاد بالرجعة هو الاعتقاد بأن أقواماً يرجعون في دولة الإمام المهدي عليه السلام إلى الحياة الدنيا بعد موتهم، ويحيون في هذه الدنيا حياة ثانية إلى أن يموتوا مرة أخرى أو يُقتلوا.

وقد دلت الأخبار المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أن الذين يرجعون إلى الدنيا هم أئمة الدين، وخُلَّص المؤمنين الذين محضوا الإيمان محضاً، وعتاة الكفار والمنافقين الذين محضوا الكفر والنفاق محضاً.

والحكمة في وقوع الرجعة هي أن الله تعالى قد كتب الغلبة في الحياة الدنيا قبل الآخرة له ولأنبيائه وأوليائه، حيث قال في كتابه العزيز: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة: ٢١)، وقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: ٥٦).

وحيث إن كثيراً من أنبياء الله تعالى ورسله وأوليائه

قُتلوا وشُرِّدوا، ووقع لهم من الذل والهوان والخوف على يد أعداء الدين ما هو معلوم، ولم يتمكنوا من غلبة أهل الكفر والنفاق في حياتهم إلى أن ماتوا، فإن الله سبحانه أراد أن يُرجعهم إلى الحياة الدنيا مرة ثانية؛ لتكون لهم الغلبة على أعدائه، ولكي يذيقوا أعداءه ألَـمَ الذل والهوان في الحياة الدنيا قبل يوم القيامة؛ لئلا يبقى في نفوس أوليائه شيء من آثار ما أصابهم في حياتهم الأولى، وليسعد المؤمنون بالعز والكرامة في دولة الإمام المهدي المنتظر عجّل الله فرَجه الشريف، وليتمتّعوا بظهور الحق، وذهاب الباطل، ونشر العدل، وانحسار الظلم.

رأي الشيعة الإمامية في الرجعة

ذهب علماء الشيعة الإمامية إلى القول بأن الرجعة وقعت في الأمم السالفة، وأنها ستقع أيضاً في هذه الأمة في آخر الزمان، واستدلوا على ذلك بطائفة كبيرة من الآيات الشريفة التي سيأتي ذكر بعضها، وبجملة وافرة من الأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت ﷺ.

قال الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد أعلى الله مقامه (ت ٤١٣هـ): إن الله تعالى يَرُدّ قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعز منهم فريقاً، ويذل فريقاً، ويديل المحقين من المبطلين، والمظلومين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدي آل محمد ﷺ وعليه السلام. وأقول: إن الراجعين إلى الدنيا فريقان: أحدهما: من علت درجته في الإيمان، وكثرت أعماله الصالحات، وخرج من الدنيا على اجتناب الكبائر الموبقات، فيريه الله عزَّ وجل دولة الحق، ويعزّه بها، ويعطيه من الدنيا ما كان يتمناه، والآخر من بلغ الغاية في

الفساد، وانتهى في خلاف المحقّين إلى أقصى الغايات، وكثر ظلمه لأولياء الله واقترافه السيئات، فينتصر الله تعالى لمن تعدّى عليه قبل الممات، ويشفي غيظهم منه بما يحله من النقمات، ثم يصير الفريقان من بعد ذلك إلى الموت، ومن بعده إلى النشور وما يستحقونه من دوام الثواب والعقاب، وقد جاء القرآن بصحة ذلك، وتظاهرت به الأخبار، والامامية بأجمعها عليه إلا شذاذاً منهم، تأوّلوا ما ورد فيه مما ذكرناه على وجه يخالف ما وصفناه. (أوائل المقالات: ٨٨).

وقال السيد علي بن الحسين المرتضى أعلى الله مقامه (ت ٤٣٦هـ): اعلم أن الذي تذهب الشيعة الإمامية إليه أن الله تعالى يُعيد عند ظهور إمام الزمان المهدي عليه السلام قوماً ممن كان قد تقدَّم موته من شيعته، ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ومشاهدة دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم، فيلتذوا بما يشاهدون من ظهور الحق وعلو كلمة أهله. (رسائل المرتضى ١/ ١٢٥).

وقال أمين الإسلام الطبرسي قدس سره (ت ٥٤٨هـ) في

مجمع البيان: وقد تظاهرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ في أن الله تعالى سيعيد عند قيام المهدي قوماً ممن تقدَّم موتهم من أوليائه وشيعته؛ ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته، ويبتهجوا بظهور دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم، وينالوا بعض ما يستحقّونه من العذاب في القتل على أيدي شيعته، والذل والخزي بما يشاهدون من علو كلمته. ولا يشك عاقل أن هذا مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه، وقد فعل الله ذلك في الأمم الخالية، ونطق القرآن بذلك في عدة مواضع، مثل قصة عزير وغيره، على ما فسَّرناه في موضعه، وصحَّ عن النبي ﷺ قوله: سيكون في أمتي كل ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه. (مجمع البيان ٧/ ٢٣٤).

وقال المولى محمد صالح المازندراني ﵀ (ت ١٠٨١ هـ): وأنت خبير بأن قولهم بإبطال الرجعة باطل؛ إذ لا دليل لهم عقلاً ونقلاً على بطلانه مع دلالة الآيات والروايات على وقوعها في هذه الأمة وفي الأمم السابقة كما

في حكاية عزير وموسى وعيسى عليهم السلام، ومن البين أن الحكم بعدم وجود شيء لا يستحيل وجوده عقلاً باعتبار عدم وجدان الدليل على وجوده باطل، فكيف إذا وُجد الدليل عليه، وأما عدم احتياج هذه الدولة القاهرة إلى الاستعانة بالموتىٰ فممنوع، وعلى تقدير التسليم يجوز أن يكون فائدة الرجوع إدخال السرور فيهم، وتشفّي صدورهم من مشاهدة نكال الأعداء، واكتسابهم الأجر مرتين. (شرح أصول الكافي ١١/ ٣٧١).

وكلمات أعلام الشيعة الإمامية في إثبات الرجعة كثيرة جداً، لا حاجة لاستقصائها، وفيما ذكرناه غنىً وكفاية.

إلا أن المهم بيانه في المقام هو أن الرجعة وإن قال بها الشيعة الإمامية إلا أنها ليست من أصول مذهبهم، فمن جهل بها لا يخرج بجهله بها عن مذهب الشيعة الإمامية، وإن كان لا يجوز له إنكارها.

وقد سئل المرجع الكبير آية الله العظمى الشيخ ميرزا جواد التبريزي قدس سره سؤالاً نصُّه: ما قولكم في

الرجعة؟ وهل يصح عدّها من أصول المذهب؟

فأجاب ﷺ بقوله: ليست من أصول المذهب، ولكنها ثابتة يقيناً؛ لورود أخبار معتبرة فيها، ولا يبعد تواترها إجمالاً، والله العالم. (صراط النجاة ٢/ ٦١٤).

وقد ذكر غيرُ واحد من علماء الطائفة المحقَّة قدَّس الله أسرارهم أن أخبار الرجعة متواترة عن الأئمة الأطهار ﷺ.

قال الشيخ المجلسي ﷺ: اعلم يا أخي أني لا أظنك ترتاب بعد ما مهَّدتُ وأوضحت لك في القول بالرجعة، التي أجمعت الشيعة عليها في جميع الأعصار، واشتهرت بينهم كالشمس في رابعة النهار، حتى نظموها في أشعارهم، واحتجوا بها على المخالفين في جميع أمصارهم، وشنَّع المخالفون عليهم في ذلك، وأثبتوه في كتبهم وأسفارهم، منهم الرازي، والنيسابوري، وغيرهما، وقد مرَّ كلام ابن أبي الحديد حيث أوضح مذهب الإمامية في ذلك، ولولا مخافة التطويل من غير طائل لأوردتُ كثيراً من كلماتهم في ذلك. وكيف يشك مؤمن بحقيَّة الأئمة

الأطهار عليهم السلام فيما تواتر عنهم في قريب من مائتي حديث صريح، رواها نيّف وأربعون من الثقات العظام، والعلماء الأعلام، في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم، كثقة الإسلام الكليني، والصدوق محمد بن بابويه، والشيخ أبي جعفر الطوسي، والسيد المرتضى، والنجاشي، والكشي، والعياشي، وعلي بن إبراهيم، وسليم الهلالي، والشيخ المفيد، والكراجكي، والنعماني، والصفار، وسعد بن عبد الله، وابن قولويه، وعلي بن عبد الحميد، والسيد علي بن طاووس، وولده صاحب كتاب زوائد الفوائد، ومحمد بن علي بن إبراهيم، وفرات بن إبراهيم، ومؤلف كتاب التنزيل والتحريف، وأبي الفضل الطبرسي، وإبراهيم بن محمد الثقفي، ومحمد بن العباس بن مروان، والبرقي، وابن شهرآشوب، والحسن بن سليمان، والقطب الراوندي، والعلامة الحلي، والسيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم، وأحمد بن داود بن سعيد، والحسن بن علي بن أبي حمزة، والفضل بن شاذان، والشيخ الشهيد محمد بن مكي، والحسين بن حمدان، والحسن بن محمد بن جمهور العمي مؤلّف كتاب الواحدة، والحسن بن

محبوب، وجعفر بن محمد بن مالك الكوفي، وطهر بن عبد الله، وشاذان بن جبرئيل، وصاحب كتاب الفضائل، ومؤلِّف كتاب العتيق، ومؤلف كتاب الخطب، وغيرهم من مؤلّفي الكتب التي عندنا، ولم نعرف مؤلفه على التعيين، ولذا لم ننسب الأخبار إليهم، وإن كان بعضها موجوداً فيها. وإذا لم يكن مثل هذا متواتراً ففي أي شيء يمكن دعوى التواتر، مع ما روته كافة الشيعة خلفاً عن سلف؟ وظني أن من يشك في أمثالها فهو شاكٌّ في أئمة الدين، ولا يمكنه إظهار ذلك من بين المؤمنين، فيحتال في تخريب الملة القويمة، بإلقاء ما يتسارع إليه عقول المستضعفين، وتشكيكات الملحدين، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾. (بحار الأنوار ٥٣/ ١٢٢).

قلت: إذا كانت أحاديث الرجعة متواترة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام فلا يجوز إنكار أصل الرجعة؛ لأن إنكارها يستلزم حينئذ تكذيب الأئمة الأطهار عليهم السلام، وتكذيبهم لا يجتمع مع اعتقاد إمامتهم، فيكون مخرجاً عن المذهب الحق.

ومع ثبوت الرجعة في كتاب الله تعالى، واستفاضة الروايات المروية عن الأئمة الأطهار ﵈ أو تواترها، إلا أنا لا نعلم بتفاصيل ما يجري في ذلك الزمان، ولذلك فنحن نؤمن بها إجمالاً، ونُثبت ما دلَّت عليه الأحاديث الصحيحة، وأما ما دلَّت عليه الروايات الضعيفة من تفاصيل الرجعة، فنحن لا ننكره، كما لا نثبته، وعلمه عند الله سبحانه.

رأي علماء أهل السنة في الرجعة

أما علماء أهل السنة فإنهم أنكروا القول بالرجعة، بل شنَّعوا بها على الشيعة، وجعلوا القول بها من الأمور القبيحة التي عابوا بها جملة من الرواة، أو ضعَّفوهم مع أنهم ثقات في أنفسهم، ومتحرِّزون عن الكذب في مروياتهم.

منهم: جابر بن يزيد الجعفي:

فقد أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن جرير أنه قال: لقيتُ جابر بن يزيد الجعفي فلم أكتب عنه، كان يؤمن بالرجعة.

وعن سفيان قال: كان الناس يحملون عن جابر قبل أن يُظهر ما أظهر، فلما أظهر ما أظهر اتَّهمه الناس في حديثه، وتركه بعض الناس. فقيل له: وما أظهر؟ قال: الإيمان بالرجعة. (صحيح مسلم ١/ ٢٠).

هذا مع أن سفيان الثوري كان يقول: كان جابر ورعاً في الحديث، ما رأيت أورع في الحديث من جابر. (الجرح والتعديل ٢/ ٤٩٧، ١/ ٧٧).

وقال فيه شعبة: صدوق في الحديث.

وقال أيضاً: لا تنظروا إلى هؤلاء المجانين الذين يقعون في جابر ـ يعني الجعفي ـ هل جاءكم عن أحد بشيء لم يلقه؟ (الجرح والتعديل ١/ ١٣٦).

وروى ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل عن سفيان أنه قال: إذا قال جابر: «حدثنا» و«أخبرنا» فذاك. وعن يحيى بن أبي كثير قال: كنا عند زهير - يعني ابن معاوية - فذكروا جابراً الجعفي، فقال زهير: كان جابر إذا قال: «سمعت» أو «سألت» فهو من أصدق الناس. (المصدر السابق ٢/ ٤٩٧).

وعن وكيع أنه قال: مهما شككتم في شيء فلا تشكّوا أن جابر بن يزيد أبا محمد الجعفي ثقة. (الجرح والتعديل ٢/ ٤٩٨).

ومنهم: الحارث بن حصيرة:

قال ابن حجر: الحارث بن حصيرة الأزدي، أبو النعمان الكوفي... قال جرير: شيخ طويل السكوت، يُصرّ

على أمر عظيم. رواها مسلم في مقدمة صحيحه ١/ ٢١ عن جرير، وقال أبو أحمد الزبيري: كان يؤمن بالرجعة. وقال ابن معين: خشبي ثقة، ينسبونه إلى خشبة زيد بن علي التي صُلب عليها. وقال النسائي: ثقة. وقال أبو حاتم: لولا أن الثوري روى عنه لتُرِك حديثه. وقال ابن عدي: عامة روايات الكوفيين عنه في فضائل أهل البيت، وإذا روى عنه البصريون فرواياتهم أحاديث متفرقة، وهو أحد من يُعدّ من المحترقين بالكوفة في التشيع، وعلى ضعفه يُكتب حديثه. قلت: علق البخاري أثراً لعلي في المزارعة، وهو من رواية هذا، ذكرته في ترجمة عمرو بن صليع. وقال الدارقطني: شيخ للشيعة يغلو في التشيع. وقال الآجري عن أبي داود: شيعي صدوق. ووثَّقه العجلي وابن نمير. وقال العقيلي: له غير حديث منكر لا يتابع عليه، منها حديث أبي ذر في ابن صياد. وقال الأزدي: زائغ، سألت أبا العباس بن سعيد عنه، فقال: كان مذموم المذهب، أفسدوه. وذكره ابن حبان في الثقات. (تهذيب التهذيب ٢/ ١٢١).

ومنهم: أصبغ بن نباتة:

قال ابن حجر في تهذيب التهذيب: ق (ابن ماجة) أصبغ بن نباتة التميمي ثم الحنظلي أبو القاسم الكوفي...

قال جرير: كان مغيرة لا يعبأ بحديثه، وقال عمرو بن علي: ما سمعت عبد الرحمن ولا يحيى حدَّثا عنه بشيء. وقال يونس بن أبي إسحاق: كان أبي لا يعرض له. وقال أبو بكر بن عياش: الأصبغ بن نباتة وهيثم من الكذابين.

وقال ابن معين: ليس يساوي حديثه شيئاً. وقال أيضاً: ليس بثقة. وقال مرة: ليس حديثه بشيء. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال مرة: ليس بثقة. وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: ليِّن الحديث. وقال العقيلي: كان يقول بالرجعة. وقال ابن حبان: فُتن بحب علي، فأتى بالطامّات، فاستحق الترك. وقال الدارقطني: منكر الحديث.

وقال ابن عدي: عامة ما يرويه عن علي لا يتابعه أحد عليه، وهو بيِّن الضعف. ثم قال: وإذا حدَّث عنه ثقة فهو عندي لا بأس بروايته، وإنما أتى الإنكار من جهة من

رویٰ عنه. وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة. (تهذيب التهذيب ١/ ٣١٦).

ومنهم: داود بن يزيد الأودي:

قال ابن حبان: داود بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي الزعافري، من أهل الكوفة، كنيته أبو يزيد، وهو عم عبد الله بن إدريس، يروي عن أبيه والشعبي، روى عنه وكيع والمكي، مات سنة إحدى وخمسين ومائة، وكان ممن يقول بالرجعة، وكان الشعبي يقول له ولجابر الجعفي: لو كان لي عليكما سلطان، ثم لم أجد إلا إبرة لشبكتكما، ثم غللتكما بها. (كتاب المجروحين ١/ ٢٨٩).

وغير هؤلاء ممن عابهم القوم لقولهم بالرجعة أو ضعّفوهم لذلك كثير، يعثر عليهم المتتبّع في كتب الرجال المعروفة، وفيما ذكرناه كفاية.

إمكان الرجعة عند العقل

لقد تطابقت كلمة المسلمين على أن الله جلّت قدرته يبعث الأموات يوم القيامة بصُوَرهم وأجسادهم، ويعيدهم إلى الحياة؛ ليجزي المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته.

واتفقوا على أن منكر ذلك كافر؛ لأن القول بالمعاد مما جاء به رسول الله ﷺ قطعاً، ونصَّت عليه آيات القرآن الكريم في مواضع كثيرة.

واتفقوا على أن الإعادة من بعد الموت ليست بمحال عقلاً، بل هي أمر ممكن لا مانع من وقوعها إذا اقتضتها الحكمة الإلهية، وتعلقت بها القدرة الربانية؛ وذلك لأن الله سبحانه على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه ممكن.

وعليه فلا مانع أيضاً عند العقل من وقوع هذا النوع من بعث الأموات قبل يوم القيامة بقدرة الله تعالى، فيُبعث أقوام من الناس من بعد موتهم إلى الحياة الدنيا إذا

اقتضت الحكمة الإلهية ذلك.

بل عند التأمل نقول: إن إمكان وقوع مثل ذلك يكون بالأولوية القطعية، باعتبار أن هذه الرجعة خاصة بأقوام مخصوصين، وأنها في الحياة الدنيا، وقد وقع نظائرها في الأزمنة السالفة، بخلاف البعث يوم القيامة، فإنه عام لجميع الناس، ولم يقع مثله.

وهذا كله واضح لا إشكال فيه، وإنكاره عناد ومكابرة واضحة.

إلا أن الكلام في ثبوت ذلك بالدليل الصحيح؛ لأن الإمكان أعم من الوقوع، فكم من أمر ممكن لم يقع.

وعليه، فإن تمَّ الدليل على الرجعة وجب القول بها من غير مبالاة بمن شنَّع على القائل بها، وإلا لزم إنكارها وردّها؛ لعدم قيام دليل صحيح عليها، لا لوجود إشكال فيها في نفسها.

الآيات القرآنية الدالة على وقوع الرجعة في الأمم السالفة

الآيات القرآنية الدالة على الرجعة كثيرة، ولنا أن نقسم هذه الآيات إلى طائفتين:

الطائفة الأولى: هي الآيات الدالة على وقوع الرجعة في الأمم السالفة.

والطائفة الثانية: هي الآيات الدالة على وقوع الرجعة في آخر الزمان.

أما الطائفة الأولى فمنها: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾. (سورة البقرة: ٢٤٣).

وهذه الآية المباركة تدل بوضوح على أن جماعة يُعَدّون بالألوف، خرجوا من ديارهم، فأماتهم الله سبحانه، ثم أرجعهم إلى الحياة الدنيا مرة ثانية، وهذه هي الرجعة

التي نقول بها.

قال ابن كثير: ذكر غير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كانوا أهل بلدة في زمان بني إسرائيل، استوخموا أرضهم[١]، وأصابهم بها وباء شديد، فخرجوا فراراً من الموت هاربين إلى البرية، فنزلوا وادياً أفيح[٢]، فملؤوا ما بين عدوتيه[٣]، فأرسل الله إليهم ملكين، أحدهما من أسفل الوادي، والآخر من أعلاه، فصاحا بهم صيحة واحدة، فماتوا عن آخرهم موتة رجل واحد، فحيزوا إلى حظائر، وبُني عليهم جدران، وفنوا، وتمزّقوا، وتفرّقوا، فلما كان بعد دهر مرّ بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له حزقيل، فسأل الله أن يحييهم على يديه، فأجابه إلى ذلك، وأمره أن يقول: «أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي»، فاجتمع عظام كل جسد بعضها إلى بعض، ثم أمره فنادى: «أيتها العظام إن الله يأمرك بأن تكتسي لحماً وعصباً

---

(١) أي وجدوها ثقيلة، لم يوافق هواؤها أبدانهم.

(٢) أفيح: أي واسع.

(٣) أي ملؤوا ما بين جانبيه.

وجلداً»، فكان ذلك وهو يشاهده، ثم أمره فنادى: «أيتها الأرواح إن الله يأمرك أن ترجع كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره»، فقاموا أحياء ينظرون قد أحياهم الله بعد رقدتهم الطويلة، وهم يقولون: «سبحانك لا إله إلا أنت». وكان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة. (تفسير القرآن العظيم ١/ ٢٩٨).

ومنها: قوله سبحانه: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. (سورة البقرة: ٢٥٩).

قال ابن كثير في تفسيره: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ اختلفوا في هذا المارّ مَن هو، فروى ابن

أبي حاتم... عن ناجية بن كعب عن علي بن أبي طالب أنه قال: هو عُزَير. ورواه ابن جرير عن ناجية نفسه، وحكاه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وسليمان بن بريدة، وهذا القول هو المشهور...

إلى أن قال: وأما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس، مرَّ عليها بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها، ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ أي ليس فيها أحد... فوقف متفكراً فيما آل أمرها إليه بعد العمارة العظيمة، وقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، وذلك لما رأى من دثورها، وشدة خرابها، وبُعدها عن العَود إلى ما كانت عليه. قال الله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾، قال: وعمرت البلدة بعد مضي سبعين سنة من موته، وتكامل ساكنوها، وتراجع بنو إسرائيل إليها، فلما بعثه الله عزَّ وجل بعد موته، كان أول شيء أحيا الله فيه عينيه، لينظر بهما إلى صنع الله فيه كيف يحيي بدنه، فلما استقل سوياً قال الله له - أي بواسطة الملَك: ﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾. قال: وذلك أنه

مات أول النهار، ثم بعثه الله في آخر نهار، فلما رأى الشمس باقية ظن أنها شمس ذلك اليوم، فقال: أو بعض يوم. ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾، وذلك أنه كان معه فيما ذُكر عنب وتين وعصير، فوجده كما تقدم لم يتغيَّر منه شيء، لا العصير استحال، ولا التين حمض ولا أنتن، ولا العنب نقص. ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾، أي كيف يحييه الله عزَّ وجل وأنت تنظر، ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي دليلاً على المعاد. (تفسير القرآن العظيم ١/ ٣١٤).

وقال الطبري في تفسيره: لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك، وإنما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على إحيائه خلقه بعد مماتهم، وإعادتهم بعد فنائهم، وأنه الذي بيده الحياة والموت، مِن قريش ومَن كان يكذِّب بذلك من سائر العرب. (تفسير الطبري ٣/ ٢٩).

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾

وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. (سورة البقرة: ٧٢، ٧٣).

قال ابن كثير في تفسيره: عن عكرمة: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ فضُرب بفخذها، فقام فقال: قتلني فلان. قال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهد وقتادة وعكرمة نحو ذلك. وقال السدي: فضربوه بالبضعة التي بين الكتفين، فعاش فسألوه فقال: قتلني ابن أخي. وقال أبو العالية: أمرهم موسى عليه السلام أن يأخذوا عظماً من عظامها فيضربوا به القتيل، ففعلوا فرجع إليه روحه، فسمّىٰ لهم قاتله، ثم عاد ميتاً كما كان... وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي فضربوه فحيي، ونبّه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتيل، جعل تبارك وتعالى ذلك الصنيع حجّة لهم على المعاد، وفاصلاً ما كان بينهم من الخصومة والعناد. (تفسير القرآن العظيم ١/ ١١٢).

قلت: وكذلك جعل الله جلّت قدرته هذه الواقعة حجّة للقائلين بالرجعة، وبياناً للخلق بأن الله سبحانه إذا

أراد شيئاً أوجده بأيسر الأسباب.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾. (سورة البقرة: ٥٥، ٥٦).

قال القرطبي في تفسيره: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ أي أحييناكم. قال قتادة: ماتوا وذهبت أرواحهم، ثم رُدّوا لاستيفاء آجالهم. قال النحاس: وهذا احتجاج على من لم يؤمن بالبعث من قريش، واحتجاج على أهل الكتاب إذ خبروا بهذا، والمعنى ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ما فُعل بكم من البعث بعد الموت. وقيل: ماتوا موت همود يَعتبر به الغير، ثم أُرسلوا. (تفسير القرطبي ١/ ٤٠٤).

وقال الطبري: يعني بقوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾ ثم أحييناكم. (تفسير الطبري ١/ ٢٣٠).

وقال: ويعني بقوله: ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ من بعد

موتكم بالصاعقة التي أهلكتكم. (المصدر السابق ١/ ٢٣١).

أقول: هذه الآيات وغيرها دالّة بوضوح على تحقق رجعة أقوام في وقائع مختلفة إلى الحياة الدنيا بعد الموت، ولم نجد في ذلك خلافاً بين المسلمين، ولذلك تطابقت كلمات المفسّرين وغيرهم على رجعة من ذكرتْهم الآيات الشريفة.

وهناك آيات أخر كثيرة في كتاب الله دلّت على رجوع أقوام آخرين بعد موتهم، وما ذكرناه كافٍ في بيان المراد.

الآيات القرآنية الدالة على وقوع الرجعة في آخر الزمان

وأما الطائفة الثانية من آيات الكتاب العزيز فقد دلّت على أن أقواماً في آخر الزمان سيرجعون إلى الحياة الدنيا من بعد موتهم لحكمة أرادها الله سبحانه، وهي آيات كثيرة:

منها: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾. (سورة النمل: ٨٣).

فإن الحشر هو البعث إلى الحياة من بعد الموت، والفوج هو الزمرة والجماعة، والآية دالة بوضوح على أن الله سيحشر من كل أمة جماعة من المكذّبين بآيات الله، ولا ريب في أنه لا يراد بهذا الحشر البعث العام لجميع الخلائق يوم القيامة؛ لأن البعث يوم القيامة لا يكون خاصاً بفوج دون فوج، بل هو عام لجميع الناس كما قال جل شأنه: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾. (سورة الكهف: ٤٧).

فلا بد أن يكون هذا الحشر الخاص واقعاً في الحياة الدنيا وقبل الحشر العام، وهذا هو المراد بالرجعة.

وفي صحيحة حماد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما يقول الناس في هذه الآية: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾؟ قلت: يقولون إنها في القيامة. قال: ليس كما يقولون، إن ذلك في الرجعة، أيحشر الله في القيامة من كل أمّة فوجاً ويدع الباقين؟ إنما آية القيامة قوله: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾. (تفسير القمي ٢/ ١٣٠).

فهذه الآية واضحة الدلالة على ذلك، إلا أنه لما كان معناها يتنافى مع عقيدة أهل السنة في إنكار الرجعة، فإن بعض مفسري أهل السنة فرّوا من بيانها، مكتفين من الآية ببيان معنى (الفوج) و(يوزعون) كما صنع الطبري والقرطبي والواحدي في تفاسيرهم، والسيوطي في الدر المنثور، وابن الجوزي في زاد المسير، وغيرهم[1].

وآخرون منهم ذكروا أن المراد بهذا الحشر هو الحشر

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ١٢. الدر المنثور ٦/ ٣٨٤. تفسير القرطبي ١٣/ ٢٣٨. زاد المسير ٦/ ١٩٤. تفسير الواحدي ٢/ ٨١٠.

للعذاب بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق. (فيض القدير ٤/ ١٥٤).

وهذا تكلّف واضح، بل هو خلاف ظاهر الآية، فإن الآية أثبتت حشراً خاصاً بأفواج من المكذّبين، ولم تُثبت أن هذا الحشر وقع قبله حشر عام آخر، ولو كان الأمر كذلك لما كان وجه لتخصيص هؤلاء بالحشر وقد حُشروا في جملة غيرهم، ثم لا أدري كيف يُحشَر هؤلاء المكذبون مرة ثانية بعد الحشر الأول العام لجميع الخلائق، والحال أن حشر عامة المكذبين يكون للعذاب، فلِمَ خُصَّ هؤلاء بالحشر دون غيرهم من المكذبين؟!

فهذه الآية واضحة الدلالة على ثبوت الرجعة في آخر الزمان لجماعة من المكذِّبين، وهو معنى لا يقول به منكرو الرجعة، وصرف الآية المباركة عن هذا المعنى تحريف لآيات الكتاب العزيز، ورد لدلالاتها بالأهواء والظنون والخيالات.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ

ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

(سورة آل عمران: ٨١).

فإن أخذ الميثاق من النبيين بالإيمان بالنبي ﷺ وبنصرته بهذا التأكيد الشديد[1]، المستتبَع بأخذ الإقرار منهم، والشهادة منهم ومعهم، يُظهر بوضوح أن المراد بالنصرة هي النصرة التي يُرجىٰ وقوعها منهم في الرجعة، لا مجرد أخذ الميثاق على نصرته ﷺ لو أدركه الأنبياء حيّاً كما ذكره ابن كثير في تفسيره وغيره، فإن مجرّد ذلك لا يستدعي كل هذا التأكيد وأخذ الميثاق منهم، خصوصاً مع علم الله سبحانه بعدم إدراكهم زمانه، وعدم تحقّق النصرة منهم له، فإن صدور مثل ذلك من العالِم بعدم وقوعه يُعد

(١) فإن الآية اشتملت على عدة مؤكدات: منها: أن في قوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ ستة مؤكدات: القَسَمين واللامين والنونين. ومنها: أخذ الإقرار منهم، وتقريرهم بقبول عهد الله. ومنها: أمرهم بالشهادة. ومنها: الشهادة معهم.

عند العرف عبثاً ولغواً، بل فعلاً مستهجناً معيباً، لا يمكن صدوره من الحكيم جل شأنه، وهذا واضح جلي.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾. (سورة الأنبياء: ٩٥).

قال عكرمة: لم يكن ليرجع منهم راجع، حرام عليهم ذلك. (تفسير الطبري ١٧/ ٦٩).

أي يمتنع على أية قرية أهلكها الله بالعذاب أن يرجعوا.

وظاهر الآية أن المراد بالرجوع هو رجوعهم إلى الحياة الدنيا، بقرينة المقابلة مع الإهلاك الواقع في الدنيا، وبدليل أن القرى المهلكة ترجع يوم الحشر، ففي الآية حينئذ إشارة إلى أن القرى التي لم يهلكها الله سبحانه بالعذاب، بل جاءها الموت بأسبابه الطبيعية، لا يمتنع رجوع أهلها إلى الدنيا، وفي هذا إثبات للرجعة، ولولا ذلك لما كان في هذا الإخبار أية فائدة،لأنّا إذا لم نقل بالرجعة فكل من فارق الدنيا ـ بهلاك أو بغيره ـ لا يرجع

إليها، فلا وجه حينئذ لتخصيص القرى التي أهلكها الله بعدم الرجوع إلى الدنيا.

وأما إن قلنا: إن المراد هو رجوعهم عن كفرهم، ليكون معنى الآية: ويمتنع على أية قرية أهلكناها أن يرجعوا عن كفرهم، فهو معنى غير صحيح وإن كان مرويًّا عن ابن عباس، وعكرمة، ومال إليه الطبري في تفسيره؛ لأن معنى الآية حينئذ لا يكون مفيداً، فإن كل قرية أهلك الله أهلها لا يمكن لهم أن يرجعوا عن كفرهم ويتوبوا بعد موتهم، إذ لا توبة بعد الموت كما هو معلوم.

أو يكون معناها: ويمتنع على أية قرية أردنا إهلاك أهلها أن يرجعوا عن كفرهم.

وهذا المعنى وإن كان غير ممتنع، إلا أن حمل الإهلاك على إرادة الإهلاك خلاف ظاهر اللفظ، فلا يصار إليه إلا بقرينة، ولا قرينة في البين.

وعليه فلا مناص من حمل الآية على الرجعة إلى الدنيا، وأما في الآخرة فكل الناس يرجعون إلى الحياة الدائمة، من أهلكهم الله ومن لم يهلكهم، ولا فرق بينهم

في ذلك.

وبهذا الذي قلناه ورد التفسير عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد أخرج الطبري في تفسيره بسنده عن جابر الجعفي قال: سألت أبا جعفر عن الرجعة، فقرأ هذه الآية ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

قال الطبري: فكأن أبا جعفر وجَّه تأويل ذلك إلى أنه وحرام على أهل قرية أمتناهم أن يرجعوا إلى الدنيا. (تفسير الطبري ١٧/ ٦٩).

وعن الإمام الصادق عليه السلام، قال: كل قرية أهلك الله أهلها بالعذاب، ومحضوا الكفر محضاً، لا يرجعون في الرجعة، وأما في القيامة فيرجعون، أما غيرهم ممن لم يُهلكوا بالعذاب ومحضوا الكفر محضاً يرجعون. (تفسير القمي ٢/ ٧٥).

وإلى هذا ذهب بعض المفسّرين أيضاً:

منهم: الجبائي، فإنه قال: معناه وحرام على قرية أهلكناها عقوبة لهم أن يرجعوا إلى دار الدنيا. (التبيان في

تفسير القرآن ٧/ ٢٧٨).

وقيلت في هذه الآية وجوه من التفسير لا تعدو كونها مجرد تخرصات أو تكلّفات لا قيمة لها.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾. (سورة غافر: ١١).

بتقريب أن هؤلاء القائلين أقرّوا على أنفسهم بأنهم ماتوا مرتين وأحيوا مرتين: أما الحياة الأولى فهي حياتهم الأولى بعد الولادة، وهذه الحياة أعقبها موت، ثم حصلت لهم حياة أخرى في الرجعة بعد موتهم الأول، ثم حصل لهم موت آخر بعد الحياة الثانية.

هذا ما ينبغي أن تحمل عليه الآية الشريفة، وكل ما قالوه خلاف ذلك فهو لا يخلو عن إشكال.

أما ما قاله السدي واختاره الجبائي والبلخي من أن الإماتة الأولى في الدنيا، والثانية في البرزخ إذا أحيي للمسألة قبل البعث يوم القيامة.

فيرد عليه أن الحياة في البرزخ للمساءلة ليست مرادة لهؤلاء القائلين، فإنها لا عمل فيها، ولا يكتسب فيها المرء ثواباً ولا إثماً، مع أن الآية تدل على أنهم قد ارتكبوا في كلا الحياتين آثاماً اعترفوا بها، ولهذا قالوا: ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا﴾، يعني بما ارتكبناه من الإثم في هاتين الحياتين، ﴿فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾، أي فهل ثمة سبيل إلى رجوع ثالث للحياة الدنيا، لعلنا نتدارك بعض ما فاتنا من الطاعة.

وقال قتادة: الإماتة الأولى حال كونهم نُطَفاً، فأحياهم الله، ثم يُميتهم، ثم يحييهم يوم القيامة.

ومراده أن الناس حال كونهم نُطَفاً كانوا موتى، فهذا هو الموت الأول، ثم لما تكامل خلقهم حصلت لهم الحياة الأولى، ثم حصلت لهم الإماتة الثانية، ثم لما بعثهم الله يوم القيامة حصلت لهم الحياة الثانية.

وهذا فيه من التكلّف ما لا يخفى، فإن النطفة لو صحَّ أن توصف حينئذ بأنها ميتة، لما صحَّ توصيفها بأنها

مُماتة، فإن الإماتة لا بد في تحقّقها من سبق الحياة، فلا يمكن إماتة الميت؛ لأن ذلك من تحصيل الحاصل الذي هو محال، مع أن الآية نصَّت على حصول إماتتهم مرتين لا على تحقق موتهم.

ولهذا وصف الله سبحانه وتعالى الناس قبل بدء حياتهم بأنهم أموات، وأن إماتتهم إنما تقع بعد تحقق حياتهم، فقال عزَّ من قائل: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾. (سورة البقرة: ٢٨).

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾. (سورة غافر: ٥١).

بتقريب أن الله سبحانه أخبر أنه ينصر رسله والمؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأكّد ذلك بأكثر من مؤكّد، مع أن كثيراً من الرسل لم يُنصَروا حال حياتهم، بل بعضهم قتلهم أقوامهم، وبعض آخرون فرّوا خوفاً من أعدائهم، كما أخبر الله سبحانه في كتابه العزيز، فلا مناص

من كون تلك النصرة في آخر الزمان، حينما يظهر الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، وينزل عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، ويعز الله أولياءه المؤمنين بنصره.

وفي الخبر عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، قال: ذلك والله في الرجعة، أما علمت أن أنبياء كثيرة لم يُنصروا في الدنيا وقُتلوا، والأئمة بعدهم قُتلوا ولم يُنصَروا، ذلك في الرجعة. (تفسير القمي ٢/ ٢٥٨).

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾. (سورة المجادلة: ٢١).

وقد أورد الطبري في تفسيره على هذه الآية سؤالاً، فقال: ما معنى ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه، ومثَّلوا به كشعياء ويحيى بن زكريا وأشباههما، ومنهم من همَّ بقتله قومه، فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم، حتى فارقهم

ناجياً بنفسه، كإبراهيم الذي هاجر إلى الشام من أرضه مفارقاً لقومه، وعيسى الذي رُفع إلى السماء إذ أراد قومه قتله، فأين النصرة التي أخبرنا أنه ينصرها رسله والمؤمنين به في الحياة الدنيا؟

ثم أجاب عن ذلك بجوابين:

وحاصل الأول أن النصرة إما أن تكون بإعلاء الله أنبياءه على أعدائه، وتمكينهم من الظفر بهم حتى يقهروهم ويذلّوهم، كما حصل لداود وسليمان، فأعطاهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر، ولمحمد ﷺ بإظهاره على من كذّبه من قومه.

وإما أن تكون النصرة بالانتقام ممن حادّهم وشاقّهم بإهلاكهم، وإنجاء الرسل ممن كذّبهم وعاداهم، كما صنع بنوح عليه السلام وقومه من تغريق قومه وإنجائه منهم، وكما صنع بموسى وفرعون وقومه إذ أهلكهم غرقاً، ونجا موسى ومن آمن به من بني إسرائيل ونحو ذلك.

وإما أن تكون النصرة بالانتقام في الحياة الدنيا من مكذّبيهم بعد وفاة الرسل، كنصرة شعياء بعد وفاته

بتسليط من سلطهم الله على قتلته، وكتسليط بختنصر على قتلة يحيى بن زكريا، وكنصرة عيسى من مريدي قتله بالروم حتى أهلكهم الله بهم. (تفسير الطبري ٢٤/ ٤٨).

وروى عن السدي أنه أجاب عن ذلك بجوابين أيضاً:

أحدهما: الجواب الأخير للطبري المتقدم ذكره.

والآخر: أن يكون هذا الكلام على وجه الخبر عن جميع الرسل والمؤمنين والمراد به واحد، فيكون تأويل الكلام حينئذ إنّا لننصر رسولنا محمداً ﷺ والذين آمنوا به في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، فإن العرب تخرج الخبر بلفظ الجميع والمراد واحد. (تفسير الطبري ٢٤/ ٤٩).

ويرد على ما قاله الطبري أن نصرة بعض الرسل والمؤمنين في الحياة الدنيا ـ وهم القلة القليلة ـ بالتمكين والقهر لأعدائهم، أو بإنجائهم وإهلاك أعدائهم، وإن كانت نصرة حقيقية، إلا أن ذلك خلاف ظاهر الآية، فإن الظاهر منها أن الله سبحانه ينصر جميع الرسل والمؤمنين في الحياة الدنيا، أو أكثرهم، لا القلة القليلة منهم.

نعم، إطلاق لفظ الكل أو الجمع وإرادة البعض أو الواحد وإن كان جائزاً في اللغة على نحو المجاز، إلا أنه يحتاج إلى قرينة دالة عليه، ولا قرينة في البين على ذلك، فلا يمكن حمل الكلام عليه حينئذ.

كما أن حمل لفظ (لننصر) على الانتصار لهم ولو بعد الموت خلاف ظاهر اللفظ، وحمل له على المجاز بلا قرينة، وهذا لا يصح في لغة العرب كما هو معلوم.

مضافاً إلى أنه ليس كل الرسل والمؤمنين انتصر الله لهم في الحياة الدنيا كما لا يخفى على من تدبّر الحوادث الجارية والوقائع السالفة.

ويرد على ما قاله السدي أن حمل لفظ (رسلنا ورسلي) على الواحد لو جاز في لغة العرب فإنه خلاف الظاهر من اللفظ، وحمل له على المجاز، وهو يحتاج إلى قرينة، ولا قرينة على ذلك كما مرّ.

وعليه فلا مناص من حمل ألفاظ الآيتين على معانيها الحقيقية، فيكون المراد بـ (رسلنا ورسلي) كافة الرسل، والمراد بـ (ننصر) هو النصرة الحقيقية حال حياتهم لا بعد

وفاتهم، وذلك إنما يتحقق في الرجعة ليس غير.

وفي كتاب الله العزيز آيات أخر كثيرة دالة على وقوع الرجعة في آخر الزمان، وفيما ذكرناه كفاية.



أحاديث الرجعة في كتب الشيعة الإمامية

لقد ذكرنا فيما تقدَّم أن الأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) مستفيضة إن لم تكن متواترة، وعليه فذكرها يستلزم إطالة الكتاب، ونحن سنقتصر على ذكر بعض منها.

فقد روى الصدوق (قدس سره) في كتابه (من لا يحضره الفقيه)، عن إمامنا الصادق قال: ليس منا من لم يؤمن بكَرَّتنا، ويستحل متعتنا. (من لا يحضره الفقيه ٣/ ٢٩٩).

والإيمان بالكَرَّة هو الإيمان بالرجعة.

ومنها: صحيحة مثنى الحنَّاط، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: أيام الله عزَّ وجل ثلاثة: يوم يقوم القائم، ويوم الكَرَّة، ويوم القيامة. (الخصال: ١٠٨).

ومنها: ما رواه الشيخ الصدوق (قدس سره) في عيون أخبار الرضا في حديث طويل جاء فيه: فقال المأمون: يا أبا الحسن فما تقول في الرجعة؟ فقال الرضا (عليه السلام): إنها لحق، قد

كانت في الأمم السالفة، ونطق به القرآن، وقد قال رسول الله ﷺ: يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة. (عيون أخبار الرضا ١/ ٢١٧).

ومنها: صحيحة جميل بن دراج عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١)، قال: ذلك والله في الرجعة، أما علمت أن أنبياء الله كثيراً لم يُنصروا في الدنيا، وقُتلوا، وأئمة قد قُتلوا ولم يُنصروا؟ فذلك في الرجعة. قلت: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ (ق: ٤١ – ٤٢)، قال: هي الرجعة. (مختصر البصائر: ١٨).

ومنها: صحيحة صفوان بن يحيى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: سمعته يقول: في الرجعة من مات من المؤمنين قُتل، ومن قُتل منهم مات. (مختصر البصائر: ١٩).

قلت: أي أن من مات في حياته الأولى فإنه يُقتل في

الرجعة، ومن قُتل في حياته الأولى فإنه يموت في الرجعة.

ومنها: صحيحة أبي بصير عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عزَّ وجل: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ (الإسراء: ٧٢)، قال: في الرجعة. (مختصر البصائر: ٢٠).

قلت: أي أن من كان في حياته الأولى ضالًا عن الهدىٰ فهو في الرجعة كذلك.

ومنها: صحيحة المعلى بن خنيس، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: أول من يرجع إلى الدنيا الحسين بن علي عليهما السلام، فيملك حتى يسقط حاجباه على عينيه من الكبر. قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ﴾ (القصص: ٨٥)، قال: نبيكم صلى الله عليه وآله راجع إليكم. (مختصر البصائر: ٢٨).

ومنها: صحيحة حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: كان في بني إسرائيل شيء لا يكون ههنا مثله؟ فقال: لا. فقلت: فحدثني عن قول الله عزَّ وجل:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾، حتى نظر الناس إليهم، ثم أماتهم من يومهم، أو ردَّهم إلى الدنيا؟ فقال: بل ردَّهم إلى الدنيا، حتى سكنوا الدور، وأكلوا الطعام، ونكحوا النساء، ولبثوا بذلك ما شاء الله، ثم ماتوا بالآجال. (مختصر البصائر: ٢٣).

ومنها: صحيحة محمد بن مسلم، قال: سمعت حمران بن أعين وأبا الخطاب يحدثان جميعاً قبل أن يُحدث أبو الخطاب ما أحدث، أنهما سمعا أبا عبد الله عليه السلام يقول: أول من تنشق الأرض عنه، ويرجع إلى الدنيا: الحسين بن علي عليهما السلام، وإن الرجعة ليست بعامة، وهي خاصة، لا يرجع إلا من محض الإيمان محضاً، أو محض الشرك محضاً. (مختصر البصائر: ٢٤).

ومنها: صحيحة بكير بن أعين، قال: قال لي من لا أشك فيه يعني أبا جعفر عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وعليًّا عليه السلام سيرجعان. (مختصر البصائر: ٢٤).

ومنها: صحيحة أبي بصير، قال: قال لي أبو جعفر

عليه السلام: ينكر أهل العراق الرجعة؟ قلت: نعم. قال: أما يقرؤون القرآن: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ الآية؟ (مختصر البصائر: ٢٥).

والأحاديث في ذلك كثيرة، وفيما ذكرناه كفاية.



أحاديث الرجعة في كتب أهل السنة

عندما نطالع ما كتبه علماء أهل السنة في كتبهم المشهورة نجد أنهم يروون أحاديث وآثاراً دالة على الرجعة غير ما سبق ذكره في تفسير آيات الرجعة.

وهي تنقسم إلى طائفتين:

الطائفة الأولى: الأحاديث والآثار الدالة على وقوع الرجعة في زمان النبي ﷺ.

ومنها: ما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن الشعبي أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: إني مررتُ ببدر فرأيت رجلاً يخرج من الأرض، فيضربه رجل بمقمعة معه، حتى يغيب في الأرض، ثم يخرج فيُفعل به مثل ذلك، قال ذلك مراراً. فقال رسول الله ﷺ: ذاك أبو جهل بن هشام، يُعذَّب إلى يوم القيامة. (دلائل النبوة ٣/ ٨٩. البداية والنهاية ٣/ ٢٩٠).

ومنها: ما أخرجه ابن أبي الدنيا بسنده عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، قال: خرجت مرة لسفر، فمررت بقبر

من قبور الجاهلية، فإذا رجل قد خرج من القبر يتأجّج ناراً، في عنقه سلسلة من نار، ومعي إداوة[١] من ماء، فلما رآني قال: يا عبد الله، اسقني. قال: فقلت: عرفني فدعاني باسمي، أو كلمة تقولها العرب: يا عبد الله، إذ خرج على أثره رجل من القبر، فقال: يا عبد الله لا تسقه؛ فإنه كافر. ثم أخذ السلسلة فاجتذبه وأدخله القبر، قال: ثم أضافني الليل إلى بيت عجوز، إلى جانب بيتها قبر، فسمعت من القبر صوتاً يقول: بول وما بول، شَنٌّ[٢] وما شَنّ. فقلت للعجوز: ما هذا؟ قالت: كان هذا زوجاً لي، وكان إذا بال لم يتّقِ البول، وكنت أقول له: ويحك إن الجمل إذا بال تفاج[٣]. فكان يأبى، فهو ينادي منذ يوم مات: بول وما بول. قلت: فما الشن؟ قالت: جاءه رجل عطشان، فقال: اسقني. فقال: دونك الشن. فإذا ليس فيه شيء، فخرَّ الرجل ميتاً، فهو ينادي منذ يوم مات: شن وما شن. فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ أخبرته، فنهى أن يسافر الرجل

---

(١) الإداوة: إناء صغير من جلد.

(٢) الشّن: القربة الخَلَق الصغيرة.

(٣) تفاجّ: أي فرّج ما بين رجليه كي لا يصيبه البول.

وحده. (من عاش بعد الموت: ٣٢).

والطائفة الثانية: الأحاديث والآثار الدالة على وقوع الرجعة بعد زمان النبي ﷺ، ومنها ما يلي:

١ - رجوع بعض صحابة النبي ﷺ إلى الدنيا:

فقد اشتهر بينهم أن بعض صحابة النبي ﷺ رجعوا إلى الحياة بعد الموت، وأنهم تكلّموا بما يثبت مذهبهم من تقديم أبي بكر وعمر على غيرهما:

منهم: زيد بن خارجة:

فقد أخرج البيهقي بسنده عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أن زيد بن خارجة الأنصاري، ثم من بني الحارث بن الخزرج، توفي زمن عثمان بن عفان، فسُجّي بثوبه، ثم إنهم سمعوا جلجلة في صدره، ثم تكلم ثم قال: أحمد أحمد في الكتاب الأول، صدق صدق أبو بكر الصديق، الضعيف في نفسه، القوي في أمر الله، في الكتاب الأول، صدق صدق عمر بن الخطاب، القوي الأمين في الكتاب الأول، صدق صدق عثمان بن عفان على

منهاجهم، مضت أربع، وبقيت اثنتان أتت بالفتن، وأكل الشديد الضعيف، وقامت الساعة، وسيأتيكم عن جيشكم خبر بئر أريس، وما بئر أريس.

قال يحيى: قال سعيد: ثم هلك رجل من بني خطمة فسُجّي بثوبه، فسُمع جلجلة في صدره، ثم تكلم فقال: إن أخا بني الحارث بن الخزرج صدق صدق.

قال البيهقي: هذا إسناد صحيح، وله شواهد. (دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٥٥).

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة، وأبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا في كتاب (من عاش بعد الموت) بسنده عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: جاءنا يزيد بن النعمان بن بشير إلى حلقة القاسم بن عبد الرحمن بكتاب أبيه النعمان بن بشير ـ يعني إلى أمه ـ: بسم الله الرحمن الرحيم من النعمان بن بشير إلى أم عبد الله بنت أبي هاشم، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، فإنك كتبت إليَّ لأكتب إليك بشأن زيد بن خارجة، وأنه كان من شأنه أنه أخذه وجع في حلقه، وهو يومئذ من أصح أهل

المدينة، فتوفي بين صلاة الأولى وصلاة العصر، فأضجعناه لظهره، وغشيناه ببُرْدَين وكساء، فأتاني آتٍ في مقامي، وأنا أسبح بعد العصر، فقال: إن زيداً قد تكلم بعد وفاته، فانصرفت إليه مسرعاً، وقد حضره قوم من الأنصار، وهو يقول أو يقال على لسانه: الأوسط أجلد القوم، الذي كان لا يبالي في الله لومة لائم، كان لا يأمر الناس أن يأكل قويهم ضعيفهم، عبد الله أمير المؤمنين، صدق صدق، كان ذلك في الكتاب الأول. ثم قال: عثمان أمير المؤمنين وهو يعافي الناس من ذنوب كثيرة، خلت اثنتان وبقي أربع، ثم اختلف الناس وأكل بعضهم بعضاً، فلا نظام، وأبيحت الأحماء، ثم ارعوى المؤمنون. وقال: كتاب الله وقدره، أيها الناس أقبلوا على أميركم واسمعوا وأطيعوا، فمن تولى فلا يعهدن دماً، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، الله أكبر هذه الجنة وهذه النار، ويقولن النبيون والصديقون: سلام عليكم، يا عبد الله بن رواحة هل أحسست لي خارجة لأبيه، وسعداً اللذين قتلا يوم أحد؟ ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾. ثم خفت صوته، فسألت

الرهط عما سبقني من كلامه، فقالوا: سمعناه يقول: أنصتوا أنصتوا. فنظر بعضنا إلى بعض، فإذا الصوت من تحت الثياب، قال: فكشفنا عن وجهه فقال: هذا أحمد رسول الله، سلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. ثم قال: أبو بكر الصديق الأمين خليفة رسول الله، كان ضعيفاً في جسمه، قوياً في أمر الله، صدق صدق وكان في الكتاب الأول.

قال البيهقي: هذا إسناد صحيح. (دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٥٥).

وقال البخاري في التاريخ: زيد بن خارجة الخزرجي الأنصاري شهد بدراً، توفي زمن عثمان، وهو الذي تكلم بعد الموت. (التاريخ الكبير ٣/ ٣٨٣).

وكذا قال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣/ ٥٦٢، وابن حبان في الثقات ٣/ ١٣٧، وفي مشاهير علماء الأمصار: ٣٧، والذهبي في الكاشف ١/ ٤١٦، وابن حجر في تقريب التهذيب: ٢٢٣، وتهذيب التهذيب ٣/ ٣٥٣، والإصابة ٢/ ١٩٠، والمزي في تهذيب الكمال

١٠/ ٦٠، ٦١، وابن عبد البر في الاستيعاب ٢/ ٤١٧، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٣/ ٥٢٤، وغيرهم.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: زيد بن خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك... وهو الذي تكلّم بعد الموت لا يختلفون في ذلك، وذلك أنه غُشي عليه قبل موته، وأُسري بروحه، فسُجّي عليه بثوبه، ثم راجعته نفسه، فتكلّم بكلام حُفظ عنه في أبي بكر وعمر وعثمان، ثم مات في حينه. روى حديثه هذا ثقات الشاميين عن النعمان بن بشير، ورواه ثقات الكوفيين عن يزيد بن النعمان بن بشير عن أبيه، ورواه يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب. (الاستيعاب ٢/ ٥٤٧).

وقال ابن الأثير في أسد الغابة: وهذا زيد هو الذي تكلم بعد الموت في أكثر الروايات، وهو الصحيح. (أسد الغابة ٢/ ٣٥٤).

ومنهم: ربيع بن حراش:

قال ابن سعد في الطبقات الكبرى ٦/ ١٢٧: ربيع بن حراش الذي تكلم بعد الموت.

وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٣/ ٤٥٦:

ربيع بن حراش أخو ربعي بن حراش الذي تكلم بعد الموت، وذُكِر أمره لعائشة فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه يتكلم رجل من أمتي بعد الموت من خير التابعين.

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن ربعي بن حراش، قال: أتيتُ فقيل لي: إن أخاك قد مات. فجئت فوجدت أخي مسجّى عليه ثوب، فأنا عند رأسه أستغفر له، وأترحم عليه، إذ كَشف الثوب عن وجهه، فقال: السلام عليك. فقلت: وعليك. فقلنا: سبحان الله أبعد الموت؟! قال: بعد الموت، إني قدمت على الله عزَّ وجل بعدكم فتُلُقّيت بروح وريحان وربٌّ غير غضبان، وكساني ثياباً خضراً من سندس وإستبرق، ووجدت الأمر أيسر مما تظنون، فلا تتكلوا، إني استأذنت ربي عزَّ وجل أن أخبركم وأبشّركم، فاحملوني إلى رسول الله ﷺ فقد عهد إليّ ألا أبرح حتى ألقاه. ثم طفي كما هو.

قال البيهقي: هذا إسناد صحيح لا يشك حديثيٌّ في

صحَّته. (دلائل النبوة ٦/ ٤٥٤).

قلت: ثم إنهم رووا أيضاً أن قوماً آخرين غير زيد والربيع قد تكلموا بعد الموت.

قال البيهقي: وقد روي في التكلم بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة.

وأخرج بسنده عن عبد الله بن عبيد الأنصاري، أن رجلاً من قتلى مسيلمة تكلم، فقال: محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عثمان الأمين الرحيم. لا أدري أيش قال لعمر. (دلائل النبوة ٦/ ٥٨).

وأخرج أيضاً بسنده عن عبد الله بن عبيد الأنصاري قال: بينما هم يثورون القتلى يوم صفين أو يوم الجمل، إذ تكلم رجل من الأنصار من القتلى، فقال: محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الشهيد، عثمان الرحيم. ثم سكت.

قلت: والأحاديث التي رووها في ذلك كثيرة جداً لا يسعنا استقصاؤها[1]، وقد ألّف ابن أبي الدنيا في ذلك

---

(١) راجع مجمع الزوائد ٥/ ١٨٠، ٧/ ٢٣٠. المعجم الأوسط ٧/ ٣٤٧. المعجم الكبير ٤/ ٢٠٢، ٥/ ٢١٨ - ٢١٩.

كتاباً أسماه: (مَنْ عاشَ بعد الموت)، جمع فيه وقائع كثيرة، فراجعه تجد فيه العجائب.

ثم إن زيد بن خارجة وغيره ممن ذكروا أنهم تكلموا بعد الموت، إن كانت أرواحهم قد رُدَّت إليهم بعد الموت، فهذا إقرار منهم بالرجعة، وإن كانت أرواحهم لم تُرَدّ إليهم، بل تُكُلِّم على لسانهم، فهذا لا يُعَدّ فضيلة لهم، وكلام من تكلم بعد موته حينئذ لا قيمة له، فإنه لا يُعلم أنه قول صحابي، بل لا يُعلَم قول مَن هو؟ فلعله قد جرى على لسانهم قول شيطان، أو قول واحد من نواصب الجن، بقرينة إغفاله ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في جميع الروايات التي رووها، أو لعل القضية من أصلها مختلقة كما هو الراجح؛ فإن كثيراً من تلك الروايات مروي عن الشعبي، وهو ضعيف عندنا، وإن كان ثقة عندهم يُحتَج به عليهم.

٢- رجوع حمار إلى الدنيا:

أخرج أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه (من عاش بعد الموت) بسنده عن الشعبي أن قوماً أقبلوا من اليمن

متطوّعين في سبيل الله، فنفق[١] حمار رجل منهم، فأرادوه أن ينطلق معهم فأبىٰ، فقام فتوضّأ وصلى، فقال: اللهم إني جئت من الدفينة مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك، وإني أشهد أنك تحيي الموتىٰ، وتبعث من في القبور، لا تجعل لأحد عليّ منّة، وإني أطلب إليك أن تبعث لي حماري. ثم قام إلى الحمار فضربه، فقام الحمار ينفض أذنيه، فأسرجه وألجمه، ثم ركبه فأجراه فلحق بأصحابه، فقالوا: ما شأنك؟ قال: شأني أن الله بعث لي حماري. قال الشعبي: فأنا رأيت الحمار بيع أو يباع بالكناسة ـ يعني بالكوفة[٢].

قلت: إن الشيعة عندما يروون أمثال هذه الكرامات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام يتّهمهم مخالفوهم بأنهم يغالون فيهم، وأما رواية هذا الخبر وغيره في حق رجل مجهول من اليمن لا يُعرَف من هو فإنه لا يُعَدّ غلوًّا عند القوم، فلا أدري لمَ باؤهم تجر، وباء غيرهم لا تجر؟

(١) نفق: أي مات.

(٢) من عاش بعد الموت: ٣١. ونقله ابن كثير عنه في البداية والنهاية ٦/ ١٦١ وقال: قال البيهقي: هذا إسناد صحيح.

نعم، باء غيرهم لا تجر بسبب البغض المستتر، والعداء المضمَر، وعلامات النَّصْب الظاهرة لأهل البيت ﷺ ولشيعتهم.

٣- رجوع فصيل ناقة صالح:

قال القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) في بيان أقوال علماء أهل السنة في دابة الأرض: فأول الأقوال أنه فصيل ناقة صالح، وهو أصحُّها...

إلى أن قال: وذلك أن الفصيل لما قُتلت الناقة هرب، فانفتح له حجر فدخل في جوفه، ثم انطبق عليه، فهو فيه حتى يخرج بإذن الله عزَّ وجل. (الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٣٥).

قلت: إن كان فصيل ناقة صالح قد مات لما دخل في جوف الحجر فحياته بعد ذلك إقرار بالرجعة للبهائم، وإن كان الفصيل لم يمت فبقاؤه هذا العمر الطويل جائز في حق البهائم، فكيف لا يجوز عندهم في حق إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف؟!

والعجب أن أهل السنة الذين قالوا برجعة بعض

البهائم شنّعوا على الشيعة؛ لقولهم برجعة أئمة أهل البيت عليهم السلام وجملة من المؤمنين وبعض المنافقين، كما أنهم سفّهوا الشيعة لقولهم ببقاء الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري عليه السلام عمراً طويلاً، مع أنهم زعموا بقاء بعض البهائم عمراً أطول من عمره عليه السلام، وما عشت أراك الدهر عجباً!!

كلمات أعلام أهل السنة في رجعة النبي ﷺ وأنبياء آخرين

كتب جلال الدين السيوطي رسالة أسماها (تنوير الحَلَك[1] في إمكان رؤية النبي والمَلَك)، وهي مشتملة على فوائد كثيرة ترتبط بموضوع رجعة النبي ﷺ وغيره من الأنبياء عليهم السلام إلى الحياة الدنيا بعد موتهم، وهو وإن لم يصرِّح بلفظ الرجعة، إلا أن المؤدَّىٰ واحد، ولهذا أحببت أن أنقل منها ما ينفع في المقام.

قال السيوطي: فقد كثر السؤال عن رؤية أرباب الأحوال للنبي ﷺ في اليقظة، وأن طائفة من أهل العصر ممن لا قدم لهم في العلم بالغوا في إنكار ذلك والتعجب منه، وادَّعوا أنه مستحيل، فألفت هذه الكراسة في ذلك وسمَّيتها: (تنوير الحَلَك في إمكان رؤية النبي والمَلَك)، ونبدأ بالحديث الصحيح الوارد في ذلك. أخرج البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: مَن رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثَّل

---

(١) الحلك: الظلام.

الشيطان بي[١].

وبعد أن ذكر اختلاف الأقوال في معنى الحديث، خلص إلى القول بأن المراد هو أن من رأى النبي ﷺ في منامه فسيراه في اليقظة في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته.

ونقل عن الإمام أبي محمد بن أبي جمرة قوله: وقد وقع من بعض الناس عدم التصديق بعمومه، وقال على ما أعطاه عقله: وكيف يكون مَن قد مات يراه الحيُّ في عالم الشاهد؟ قال: وفي هذا القول من المحذور وجهان خطيران:

أحدهما: عدم التصديق بقول الصادق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

والثاني: الجهل بقدرة القادر وتعجيزها، كأنه لم يسمع في سورة البقرة قصة البقرة، وكيف قال الله تعالى: ﴿ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ (البقرة: ٧٣)، وقصة إبراهيم عليه السلام في الأربع من الطير، وقصة عزير عليه السلام،

(١) صحيح البخاري ٤/ ٢١٩٠. صحيح مسلم ٤/ ١٧٧٥. سنن أبي داود ٤/ ٣٠٥.

فالذي جعل ضرب الميت ببعض البقرة سبباً لحياته، وجعل دعاء إبراهيم عليه السلام سبباً لإحياء الطيور، وجعل تعجُّب عزير سبباً لموته وموت حماره، ثم لإحيائهما بعد مائة سنة، فمن قدر على ذلك قادر على أن يجعل رؤيته ﷺ في النوم سبباً لرؤيته ﷺ في اليقظة.

إلى أن قال: وقد ذكر عن السلف والخلف وهلم جرًّا عن جماعة ممن كانوا رأوه ﷺ في النوم، وكانوا ممن يصدِّقون هذا الحديث، فرأوه بعد ذلك في اليقظة، وسألوه عن أشياء كانوا منها متشوِّشين، فأخبرهم بتفريجها، ونصَّ لهم على الوجوه التي منها يكون فَرَجُها، فجاء الأمر كذلك بلا زيادة ولا نقص.

قال: والمنكر لهذا لا يخلو إما أن يصدِّق بكرامات الأولياء أو يكذِّب بها، فإن كان ممن يكذب بها فقد سقط البحث معه؛ فإنه يكذب ما أثبتته السنة بالدلائل الواضحة، وإن كان مصدِّقاً بها فهذه من ذلك القبيل؛ لأن الأولياء يُكشف لهم بخرق العادة عن أشياء في العالمَين العلوي والسفلي عديدة، فلا يُنكر هذا مع التصديق بذلك.

انتهى كلام ابن أبي جمرة. (تنوير الحلك ضمن الحاوي للفتاوي: ٦٦٠).

ثم نقل السيوطي بعض أقوال علماء أهل السنة في رؤية الأولياء للنبي ﷺ حقيقة وفي اليقظة، فقال:

وقال القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية في كتابه (قانون التأويل): ذهبت الصوفية إلى أنه إذا حصل للإنسان طهارة النفس، وتزكية القلب، وقطع العلائق، وحسم مواد أسباب الدنيا، من الجاه، والمال، والخلطة بالجنس، والإقبال على الله تعالى بالكلية علماً دائماً، وعملاً مستمرًّا، كشفت له القلوب، ورأى الملائكة، وسمع أقوالهم، واطلع على أرواح الأنبياء، وسمع كلامهم.

ثم قال ابن العربي من عنده: ورؤية الأنبياء والملائكة وسماع كلامهم ممكن، للمؤمن كرامةً، وللكافر عقوبة.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في (القواعد الكبرى): وقال ابن الحاج في المدخل: رؤية النبي ﷺ في اليقظة باب ضيق، وقلّ من يقع له ذلك، إلا من كان على

صفة عزيز وجودها في هذا الزمان، بل عدمت غالباً، مع أننا لا ننكر من يقع له هذا من الأكابر الذين حفظهم الله تعالى في ظواهرهم وبواطنهم.

ثم قال: وقال القاضي شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم البارزي في كتاب (توثيق عرى الإيمان): وقد سُمع من جماعة من الأولياء في زماننا وقبله أنهم رأوا النبي ﷺ في اليقظة حيًّا بعد وفاته.

ثم نقل السيوطي أقوال الذين قالوا: إنهم رأوا النبي ﷺ أو غيره من الأنبياء عليهم السلام، فقال:

وقال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في رسالته، والشيخ عفيف الدين اليافعي في (روض الرياحين): قال الشيخ الكبير قدوة الشيوخ العارفين وبركة أهل زمانه أبو عبد الله القرشي: لما جاء الغلاء الكبير إلى ديار مصر توجهت لأن أدعو، فقيل لي: لا تدعُ، فما يُسمع لأحد منكم في هذا الأمر دعاء. فسافرت إلى الشام، فلما وصلت إلى قريب ضريح الخليل عليه السلام تلقاني الخليل، فقلت: يا رسول الله اجعل ضيافتي عندك الدعاء لأهل مصر. فدعا لهم،

ففرَّج الله عنهم.

قال اليافعي: وقوله: «تلقاني الخليل» قول حق، لا ينكره إلا جاهل بمعرفة ما يرد عليهم من الأحوال التي يشاهدون فيها ملكوت السماء والأرض، وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات، كما نظر النبي ﷺ إلى موسى عليه السلام في الأرض، ونظره أيضاً هو وجماعة من الأنبياء في السماوات، وسمع منهم مخاطبات، وقد تقرَّر أن ما جاز للأنبياء معجزةً، جاز للأولياء كرامةً بشرط عدم التحدي.

قال: وقال الشيخ سراج الدين بن الملقن في (طبقات الأولياء): قال الشيخ عبد القادر الكيلاني: رأيتُ رسول الله ﷺ قبل الظهر، فقال لي: يا بني لمَ لا تتكلم؟ قلت: يا أبتاه أنا رجل أعجم، كيف أتكلم على فصحاء بغداد؟ فقال: افتح فاك. ففتحته، فتفل فيه سبعاً، فقال: تكلم على الناس، وادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة. فصليت الظهر، وجلست، وحضرني خلق كثير، فارتج عليَّ، فرأيت عليًّا قائماً بإزائي في المجلس، فقال لي: يا بني لمَ لا تتكلم؟ قلت: يا أبتاه قد أرتج عليَّ. فقال: افتح

فاك. قال: ففتحته، فتفل فيه ستًّا، فقلت: لم لا تكملها سبعاً؟ قال: أدباً مع رسول الله ﷺ. ثم توارى عني...

وقال أيضاً في ترجمة الشيخ خليفة بن موسى النهر ملكي: كان كثير الرؤية لرسول الله ﷺ يقظة ومناماً، وكان يقال: إن أكثر أفعاله متلقاة منه ﷺ بأمر منه، إما يقظة وإما مناماً، ورآه في ليلة واحدة سبع عشرة مرة، قال له في إحداهن: يا خليفة لا تضجر مني، كثير من الأولياء مات بحسرة رؤيتي.

ثم قال: وقال الشيخ عبد الغفار بن نوح القوصي في كتاب (الوحيد) من أصحاب الشيخ أبي يحيى أبي عبد الله الأسواني المقيم بأخيم، كان يخبر أنه يرى النبي ﷺ في كل ساعة، حتى لا يكاد يكون ساعة إلا ويخبر عنه.

وقال في (الوحيد) أيضاً: كان للشيخ أبي العباس المرسي وصلة بالنبي ﷺ، إذا سلّم على النبي ﷺ ردَّ عليه السلام، ويجاوبه إذا تحدَّث معه.

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في (لطائف المنن): قال رجل للشيخ أبي العباس المرسي: يا سيدي

صافحني بكفِّك هذه، فإنك لقيت رجالاً وبلاداً. فقال: والله ما صافحتُ بكفي هذه إلا رسول الله ﷺ. وقال الشيخ: لو حُجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين.

ثم نقل حكايات كثيرة عمن يخبر أنه رأى النبي ﷺ في اليقظة، ثم قال:

ثم رأيت في كتاب (مزيل الشبهات في إثبات الكرامات) للإمام عماد الدين بن إسماعيل بن هبة الله بن باطيش ما نصّه: ومن الدليل على إثبات الكرامات آثار منقولة عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم، منهم: أبو بكر الصديق رضي الله عنه...

إلى أن قال: ومنهم عثمان بن عفان، قال عبد الله بن سلام: أتيت عثمان رضي الله عنه لأسلم عليه وهو محصور، فقال: مرحباً بأخي، رأيتُ رسول الله ﷺ ومن هذه الخوخة، فقال: يا عثمان حصروك؟ قلت: نعم. قال: عطشوك؟ قلت: نعم. فأدلى لي دلواً فيه ماء، فشربتُ حتى رويت، حتى إني لأجد برده بين ثديي وبين كتفي، فقال: إن شئتَ

نُصِرتَ عليهم، وإن شئتَ أفطرتَ عندنا. فاخترتُ أن أفطر عنده ﷺ. فقُتل ذلك اليوم. انتهى.

قال السيوطي: وهذه القصة مشهورة عن عثمان، مخرجة في كتب الحديث، أخرجها ابن أبي أسامة في مسنده وغيره، وقد فهم المصنف منها أنها رؤية يقظة، وإلا لم يصلح عدُّها في الكرامات؛ لأن رؤيا المنام يستوي فيها كل أحد، وليست من الخوارق المعدودة في الكرامات، ولا ينكرها من ينكر كرامات الأولياء. (تنوير الحلك ضمن الحاوي للفتاوي: ٦٦٦).

قال السيوطي: ولا يمتنع رؤية ذاته الشريف بجسده وروحه؛ وذلك لأنه ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام أحياء رُدَّت إليهم أرواحهم بعدما قُبضوا، وأُذن لهم في الخروج من قبورهم، والتصرّف في الملكوت العلوي والسفلي، وقد ألَّف البيهقي جزءاً في حياة الأنبياء، وقال في (دلائل النبوة): الأنبياء أحياء عند ربهم كالشهداء.

وقال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي: المتكلِّمون المحقِّقون من أصحابنا أن نبيّنا ﷺ

حي بعد وفاته، وأنه ﷺ يبشَّر بطاعات أمَّته، ويحزن بمعاصي العصاة منهم، وأنه ﷺ يبلغه صلاة من يصلي عليه من أمته. وقال: إن الأنبياء لا يبلون، ولا تأكل الأرض منهم شيئاً، وقد مات موسى عليه السلام في زمانه، وأخبر نبينا ﷺ أنه رآه في قبره مصلياً، وذكر في حديث المعراج أنه رآه في السماء الرابعة، ورأى آدم، وإبراهيم، وإذا صحَّ لنا هذا الأصل قلنا: نبينا ﷺ قد صار حيًّا بعد وفاته وهو على نبوَّته. انتهى.

قال: قال القرطبي في التذكرة في حديث الصعقة عن شيخه: الموت ليس بعدم محض، وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء يُرزقون فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا، وإذا كان هذا في الشهداء فالأنبياء أحق بذلك، وقد صحَّ أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام، وأنه ﷺ اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء، ورأى موسى عليه السلام قائماً يصلي في قبره، وأخبر ﷺ أنه يرد السلام على كل مَن يسلِّم عليه، إلى غير ذلك مما

يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء عليهم السلام إنما هو راجع إلى أن غُيِّبوا عنا بحيث لا ندركهم، وإن كانوا موجودين أحياء، ولا يراهم أحد من نوعنا إلا من خصَّه الله تعالى بكرامته. انتهى.

وقال: قال البيهقي: فعلى هذا يصيرون كساير الأحياء حيث ينزلهم الله تعالى.

ثم قال: وقال الإمام بدر الدين بن الصاحب في تذكرته: فصل في حياته ﷺ بعد موته في البرزخ، وقد دلَّ على ذلك تصريح الشارع وإيماؤه، ومن القرآن قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران: ١٦٩)، فهذه الحالة ـ وهي الحياة في البرزخ بعد الموت ـ حاصلة لآحاد هذه الأمة من السعداء، وحالهم أعلىٰ وأفضل ممن يكون له هذه الرتبة، لا سيما في البرزخ، ولا يكون رتبة أحد من الأمة أعلى من رتبة النبي ﷺ، بل إنما حصل لهم هذه الرتبة ببركته وتبعيته، واتصافاً بما استحقوا هذه الرتبة بالشهادة، والشهادة حاصلة للنبي ﷺ على أتم الوجوه. وقال ﷺ: «مررتُ على موسىٰ ليلة

أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره»، وهذا صريح في إثبات الحياة لموسى ﷺ، فإنه وصفه بالصلاة، وأنه كان قائماً، ومثل هذا لا يُوصف به الروح، وإنما يوصف به الجسد، وفي تخصيصه بالقبر دليل على هذا؛ فإنه لو كان من أوصاف الروح لم يحتج لتخصيصه بالقبر؛ فإن أحداً لم يقل: إن أرواح الأنبياء مسجونة في القبر مع الأجساد، وأرواح السعداء والمؤمنين في الجنة.

إلى أن قال: فإذا كان القاضي عياض يقول: «إنهم يحجُّون بأجسادهم، ويفارقون قبورهم»، فكيف يُستنكر مفارقة النبي ﷺ لقبره؟! فإن النبي ﷺ إذا كان حاجًّا، وإذا كان مصلياً، وإذا كان يُسرىٰ به بجسده إلى السماء، فليس مدفوناً في القبر. انتهى.

ثم ختم السيوطي كلامه بقوله: فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث أن النبي ﷺ حي بجسده وروحه، وأنه يتصرَّف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته، لم يتبدَّل منه شيء، وأنه مغيَّب عن الأبصار كما غُيِّبت الملائكة مع

كونهم أحياء بأجسادهم، فإذا أراد الله رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها، لا مانع من ذلك، ولا داعي إلى التخصيص برؤية المثال. (تنوير الحلك ضمن الحاوي للفتاوي: ٦٦٩).

قلت: هذا بعض ما قالوه في كتبهم، وهو كثير جدًّا، ونقل ما قاله علماء أهل السنة في ذلك بكامله يستدعي الإطالة، ونحن قد اقتصرنا على نقل مقدار الحاجة منه، فمن أراده فليطلبه من مظانّه، وهو يدل على ما نذهب إليه من الرجعة، وهم وإن لم يطلقوا عليه لفظ الرجعة، إلا أنّا لا نقول في الرجعة أكثر من ذلك، فإن هؤلاء الذين ذكرنا بعض أقوالهم آنفاً وغيرهم ذهبوا إلى أن الرجعة قد وقعت في الصدر الأول وما بعده من العصور السالفة، وإن أبوا أن يطلقوا لفظ الرجعة عليها.

سبب شدة النفرة من القول بالرجعة

من كل ما مرَّ يتّضح أن الرجعة إلى الحياة الدنيا ممكنة عقلاً، بل هي واقعة، قد وقعت كثيراً، وقد اعترف علماء أهل السنة بوقوعها كما أوضحناه مفصَّلاً.

إلا أن القوم أنكروا الرجعة أي إنكار، لا لشيء فيها، وإنما للقول بأن أمير المؤمنين عليه السلام يرجع إلى الدنيا في آخر الزمان دون الخلفاء الثلاثة، مع أنهم رووا عن علي عليه السلام أنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي إن لك في الجنة كنزاً، وإنك ذو قرنيها...[1].

قال المنذري في الترغيب والترهيب: قوله صلى الله عليه وآله لعلي: «وإنك ذو قرنيها» أي ذو قرني هذه الأمة، وذلك لأنه كان له شجّتان في قرني رأسه، إحداهما من ابن ملجم لعنه الله،

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣/ ١٢٣ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. مجمع الزوائد ٤/ ٢٧٧، ٨/ ٦٣ قال الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الأوسط... ورجال الطبراني ثقات.

والأخرى من عمرو بن ود. (الترغيب والترهيب ٣/ ٨).

قلت: بل لأنه يُضرب أولاً من ابن ملجم لعنه الله، فيموت ثم يحيا، فيُضرب مرة ثانية على رأسه فيموت. ولولا ذلك لما كان لأمير المؤمنين عليه السلام أي خصوصية بسبب تلكم الضربتين، فإن غيره قد ضُرب على رأسه ضربات كثيرة.

ويدل على ذلك أنهم رووا عن علي عليه السلام أنه قال: سلوني قبل أن لا تسألوني، ولن تسألوا بعدي مثلي. فقام إليه ابن الكوَّاء فقال: ما كان ذو القرنين؟ أملك كان أم نبي؟ فقال: لم يكن ملكاً ولا نبيًّا، ولكنه كان عبداً صالحاً، أحبَّ الله وأحبَّه الله، وناصح فنصحه، ضُرب على قرنه الأيمن فمات، ثم بعثه الله عزَّ وجل، وضُرب على قرنه الأيسر فمات، وفيكم مثله[1].

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة ٦/ ٣٤٩، كتاب السنة لابن أبي عاصم ٢/ ٥٨٣، فتح الباري ٦/ ٢٩٥ قال ابن حجر: وسنده صحيح، سمعناه في الأحاديث المختارة للحافظ الضياء. قلت: أخرجه في الأحاديث المختارة ٢/ ١٧٥ إلا أنه لم يقل: «وفيكم مثله»، ولعل هذا من التحريف المتعمد للتراث.

وهذه الرواية واضحة الدلالة على أن سبب تسمية ذي القرنين بهذا الاسم هو أنه ضُرب أولاً على قرنه الأيمن فمات، ثم بعثه الله، ثم ضُرب ثانياً على قرنه الأيسر فمات.

وقوله: «وفيكم مثله» ظاهر في أن أمير المؤمنين عليه السلام كذلك، وهذا واضح لا غبار عليه.

وبذلك يتضح أن هذه الأخبار فيها إشارة إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام يضربه ابن ملجم لعنه الله على قرنه فيموت، ثم يرجع إلى الدنيا، فيُضرب على قرنه مرة أخرى، فيموت كما وقع مثل ذلك لذي القرنين.

فهذه الأخبار والآثار دالة على رجعة أمير المؤمنين عليه السلام، وهي واضحة لا تحتاج إلى مزيد تأمل، إلا أن القوم أنكروا دلالتها على ذلك؛ لأنها تُثبت فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام لم تَثبت لواحد من الخلفاء الثلاثة، وهذا دأبهم في إنكار كثير من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام للسبب نفسه، والله المستعان على ما يصفون.

شبهات حول الرجعة

ذكر القوم عدة شبهات حول الرجعة، ونحن سنذكر أهمها.

الشبهة الأولى: أن الرجعة لو صحَّت لجاز وقوع التوبة من عتاة هذه الأمة وغيرهم؛ لأنهم لما ماتوا وذاقوا عذاب القبر، ورأوا أهواله، وشدَّته، فلن يُتوقع منهم إذا عادوا إلى الدنيا أن يتمادوا في غيِّهم وضلالهم، بل المتوقع منهم أن يتوبوا إلى الله تعالى، ولا سيما أن الملك والسلطان قد انتقل عنهم إلى غيرهم، وكان سلطانهم هو الداعي إلى وقوع المعاصي منهم.

وجوابها: أن هؤلاء العتاة وإن كانت توبتهم ممكنة، إلا أنهم لا يوفَّقون لها، وعذاب القبر الذي عاينوه ليس بأشد من عذاب يوم القيامة، والله سبحانه قد أخبر في كتابه العزيز أن الكافرين المعاندين الذين حقَّ عليهم العذاب يوم القيامة يتمنون أن يرجعوا إلى الدنيا ليصلحوا بزعمهم ما فسد منهم، إلا أن الله تعالى أكذبهم، فقال: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ

وُقِفُوا عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُ وَلَوۡ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ (الأنعام: ٢٧ – ٢٨)، فحال أولئك الذين عادوا إلى الدنيا في الرجعة لن يكون أحسن من حال هؤلاء الذين بُعثوا يوم القيامة وعاينوا عذاب النار.

وهذا المعنى يمكن أن يستفاد من صحيحة أبي بصير عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عزَّ وجل: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ (الإسراء: ٧٢)، قال: في الرجعة. (مختصر بصائر الدرجات: ٢٠).

قلت: أي أن من كان في حياته الأولى ضالًّا عن الهدىٰ فهو في الرجعة كذلك، فكيف تتحقق منه التوبة.

وقد أجاب شيخنا محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد أعلى الله مقامه عن هذه الشبهة في كتابه (الفصول المختارة) فقال:

سأل بعضُ المعتزلة شيخاً من أصحابنا الإمامية وأنا حاضر في مجلس، فيهم جماعة كثيرة من أهل النظر

والمتفقهة، فقال: إذا كان من قولك: إن الله يرد الأموات إلى دار الدنيا قبل الآخرة عند قيام القائم؛ ليشفي المؤمنين كما زعمتم من الكافرين، وينتقم لهم منهم كما فعل من بني إسرائيل، حيث يتعلقون بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ (سورة الإسراء: ٦)، فما الذي يؤمنك أن يتوب يزيد، وشمر، وابن ملجم، ويرجعوا عن كفرهم، فيجب عليك ولايتهم والقطع بالثواب لهم؟ وهذا خلاف مذهب الشيعة.

فقال الشيخ المسؤول: القول بالرجعة إنما قلته من طريق التوقيف، وليس للنظر فيه مجال، وأنا لا أجيب عن هذا السؤال؛ لأنه لا نصّ عندي فيه، ولا يجوز لي أن أتكلف ـ من غير جهة النص ـ الجواب. فشنَّع السائل وجماعة المعتزلة عليه بالعجز والانقطاع.

قال الشيخ أيّده الله: فأقول: أنا أبيّن في هذا السؤال جوابين:

أحدهما: أن العقل لا يمنع من وقوع الإيمان ممن ذكره السائل؛ لأنه يكون آنذاك قادراً عليه ومتمكناً منه،

لكن السمع الوارد عن أئمة الهدى ﷺ بالقطع عليهم بالخلود في النار، والتدين بلعنهم والبراءة منهم إلى آخر الزمان، منع من الشك في حالهم، وأوجب القطع على سوء اختيارهم، فَجَرَوا في هذا الباب مجرى فرعون وهامان وقارون، ومجرى من قطع الله على خلوده في النار. ودل القطع على أنهم لا يختارون الإيمان ممن قال الله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ (الأنعام: ١١١)، يريد: إلّا أنْ يلجئهم الله، والذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ (سورة الأنفال: ٨)، وقال الله تعالى لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة ص: ٨٥)، وقال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ (سورة ص: ٧٨) وقال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ (سورة الأنعام: ٢٨)، وقال: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ (سورة المسد: ٣)، فقطع عليه بالنار، وأمن من انتقاله إلى ما يوجب له الثواب، وإذا كان الأمر على ما وصفناه بطل ما

توهّموه.

والجواب الآخر: أن الله سبحانه إذا ردّ الكافرين في الرجعة لينتقم منهم لم تقبل لهم توبة، وجروا في ذلك مجرى فرعون لما أدركه الغرق، ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ (سورة يونس: ٩٠)، قال سبحانه له: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (سورة يونس: ٩١)، فردّ الله عليه إيمانه، ولم ينفعه في تلك الحال ندمه وإقلاعه، وكأهل الآخرة الذين لا يقبل الله لهم توبة ولا ينفعهم ندم؛ لأنهم كالملجئين إلى ذلك الفعل؛ ولأن الحكمة تمنع من قبول التوبة أبداً، وتوجب اختصاصها ببعض الأوقات. وهذا هو الجواب الصحيح على مذهب الإمامية، وقد جاءت به آثار متظافرة عن آل محمد ﷺ، فروي عنهم في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ (سورة الأنعام: ١٥٨)، فقالوا: «إن هذه الآية هو القائم ﵇، فإذا ظهر لم تقبل توبة

المخالف»، وهذا يبطل ما اعتمده السائل. (الفصول المختارة: ١١٥).

الشبهة الثانية: أن من يرجع إلى الحياة الدنيا في الرجعة لا يخلو إما أن يكون مكلفاً أو غير مكلف، فإن رجع إلى الدنيا غير مكلَّف، كان له أن يفعل ما يشاء من الموبقات والمآثم من دون أن يلحقه إثم ولا عقاب، ولا حاجة له حينئذ لعمل الطاعات لعدم حصوله على الثواب بفعلها، فنصرة صاحب الزمان عليه السلام لا ثواب فيها، مع ما في نصرته عليه السلام من احتمال القتل أو الجرح من دون فائدة. كما لا يُعاقب مَن حاربه ممن رجع من العتاة والمنافقين، وهو باطل بالاتفاق.

وأما إن قيل: إنه يرجع مكلَّفاً، فقد انتقض ما هو متفق عليه من أن ابن آدم إذا مات انقطع عمله.

وجوابها: أنا نقول: إن من مات انقطع عنه التكليف، ولكن إذا رجع إلى الدنيا عاد إليه التكليف من جديد، ولا محذور في ذلك، فإن الدنيا دار تكليف من غير فرق بين من يحيا فيها حياته الأولى أو حياته الثانية في

الرجعة.

الشبهة الثالثة: أن كل مَن مات فإنه يعلم أنه من أهل الجنة أو من أهل النار، ويكون قبره بعد المساءلة إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار. فمن علم أنه من أهل الجنة كيف يرجع إلى دار التكليف مرة ثانية، فلا يدري بعد ذلك ما يقع في حياته الثانية، فربما يُفتن في دينه فيكون من أهل النار، وهذا يقتضي ألا يرضى عاقل برجوعه إلى الدنيا مرة ثانية.

وجوابها: أن من عاش في دولة سلاطين الجور، التي التبس فيها الحق بالباطل، وفي زمان الخوف والتقية، حيث كانت الأهواء والفتن تحوطه من كل جانب ومكان، ومع ذلك آمن وعمل صالحاً، مع صعوبة الأمر وشدَّته، إلى أن مات مستوجباً رضوان الله وجنانه، فكيف يزل عن الحق إذا رجع إلى الدنيا، وعاش في دولة الحق والعدل وقد زالت الفتن، وانحسرت الأهواء، وارتفع الخلاف بين الناس؟

ولعل الكثير من المؤمنين يطمعون في أن يرجعوا إلى الدنيا؛ ليجاهدوا في سبيل الله تحت راية إمام عادل،

ولينعموا في دولة العدل، ويسعدوا بظهور الحق، ويستكثروا من الأجر والثواب، وغير ذلك من الدواعي المهمة التي لا تُنال إلا بالرجعة.

الشبهة الرابعة: وهي أقوى شبهات منكري الرجعة كما قال الحر العاملي في كتابه (الإيقاض من الهجعة):

٤١٢. وحاصلها أنه قد تقرَّر أن الإمامة رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا، وأن المهدي عليه السلام خاتم الأوصياء والأئمة، فلا يجوز أن تكون الرجعة في زمان المهدي عليه السلام ولا بعده؛ لأنه يلزم إما عزله عليه السلام، وقد ثبت استمرار إمامته إلى يوم القيامة، وإما تقديم المفضول على الفاضل، أو زيادة الأئمة على اثني عشر، وعدم عموم رئاسة الإمام.

وقد أجاب الحر العاملي على هذه الشبهة بعدة إجابات:

منها: أنه يمكن كون رجعة الأئمة عليهم السلام كلها بعد موت المهدي عليه السلام وهو الظاهر؛ لما روي من طرق كثيرة أن أول من يرجع إلى الدنيا الحسين عليه السلام في آخر عمر المهدي، فإذا عرفه الناس مات المهدي، وغسله الحسين عليه السلام، وتلك

المدة اليسيرة جداً تكون مستثناة للضرورة.

قلت: لعل استثناء هذه المدة اليسيرة من أجل أن يتسلَّم الإمام الحسين عليه السلام مهام الدولة من الإمام المهدي عجَّل الله فرجه الشريف.

ويظهر من بعض الأخبار أن رجعة الإمام الحسين عليه السلام إنما تكون بعد موت الإمام المهدي عليه السلام، فلا تكون هناك مدة يسيرة مستثناة.

ومن تلك الأخبار ما رواه الشيخ الحسن بن سليمان الحلي قدس سره في مختصر البصائر: ١٦٥، بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام: سُئل عن الرجعة، أحق هي؟ قال: نعم. فقيل له: من أول من يخرج؟ قال: الحسين عليه السلام يخرج على أثر القائم. قلت: ومعه الناس كلهم؟ قال: لا، بل كما ذكر الله تعالى في كتابه: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾، قوماً بعد قوم.

ويمكن لنا أن نجيب عن هذه الشبهة أيضاً بأنا نحتمل أن يقوم جميع الأئمة عليهم السلام بمهام الإمامة في وقت واحد من غير حاجة إلى عزل الإمام المهدي عليه السلام عن إمامته، ولا يلزم على ذلك إشكال تقديم المفضول على

الفاضل، ولا عزل الإمام المهدي عليه السلام عن إمامته، وهو واضح.

كما يمكن الجواب بأن أحاديث الرجعة مسلَّمة ومتواترة عندنا بنحو الإجمال، وأما تفاصيل ما يحدث في الرجعة ـ ومنها تفاصيل تولي الإمامة في حال اجتماع الأئمة عليهم السلام ـ فهذا لا نعلمه، ولا نقول فيه بغير علم، ونحن لسنا مكلفين به في ظرفه، ولا تجب علينا معرفة التكليف فيه، فحاله حال كثير من الأمور التي تقع في آخر الزمان مما لا نعلمه.

حوادث طريفة حول الرجعة

حفلت كتب التاريخ والأدب بسرد وقائع حصلت بين بعض الشيعة القائلين بالرجعة، وبين آخرين ينكرونها، بل ويشنّعون على الشيعة بها، وبعض تلك الحوادث لا يخلو من فائدة وطرافة.

منها: ما ذكره محمد بن خلف بن حيان في كتابه (أخبار القضاة)، بسنده عن الحارث بن عبد الله الربعي، قال: كنتُ جالساً في مجلس للمنصور وهو بالجسر الأكبر، و[القاضي] سوار عنده، والسيِّد [الحميري] ينشده:

إنَّ الإلهَ الذي لا شيءَ يشبهُهُ

آتاكمُ الملكَ للدنيا وللدينِ

آتاكمُ اللهُ ملكاً لا زوالَ له

حتى يُقادَ إليكم صاحبُ الصينِ

وصاحبُ الهندِ مأخوذٌ برُمَّتِهِ

وصاحبُ التركِ محبوسٌ على هُونِ

حتى أتى على القصيدة والمنصور مسرور، فقال سوار: هذا يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، والله إن القوم الذين يدين بحبّهم غيركم، وإنه لينطوي على عداوتكم. فقال السيِّد: والله إنه لكاذب، وأني في مدحيك لصادق، ولكنه حمله الحسد إذ رآك على هذه الحال، وإنَّ انقطاعي ومودّتي لكم أهل البيت، وخلافي لرأي أبويه، ومعاندتي لهما، لم تساير من أنصرف عنكم، وإن هذا وقومه لأعداؤكم في الجاهلية والإسلام، وقد أنزل الله عزَّ وجلَّ على نبيِّه ﷺ في أهل بيته: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. (الحجرات: ٤). فقال المنصور: صدقت. فقال سوار: إنه يقول بالرجعة. فقال: أما قوله: «إنه يقول بالرجعة»، فإن الله عزَّ وجل يقول: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾، وقال: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾، وقال: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾، إنما قلتُ مثل هذا، ولكنه يرجع بعد الموت كلباً أو قرداً أو خنزيراً أو ذرَّة؛ لأنه متجبِّر، وقد قال رسول الله ﷺ: «يُحشَر المتكبِّرون في صورة الذَّر يوم القيامة»، وفي حديث

آخر: «في صورة القردة والخنازير، يغشاهم الذل من كل مكان».

ثم قال:

جاثيتُ سواراً أبا شملةٍ ... عند الإمامِ الحاكمِ العادلِ
فقالَ قولاً خطلٌ كلُّه ... عند الورى الحافلِ والشاغل
ما دبَّ عما قلتُ من وصمةٍ ... في أهلِه بل لَجَّ في الباطلِ
وبان للمنصورِ صدقي كما ... قد بانَ كذْبِ الأنوكِ الجاهلِ
يبغضُ ذا العرشِ ومَن يصطفي ... مِن خَلْقه بالبيِّنِ الفاصلِ
ويعتدي في الحكمِ في معشرٍ ... أدّوا حقوقَ الرُّسْلِ للراسل
فبيَّنَ اللهُ تزاويقَهُ ... فصارَ مثلَ الهائمِ الهاملِ[1]

وقال صلاح الدين الصفدي في كتابه (الوافي بالوفيات): قال الصولي: حدثنا أبو العيناء، قال: السيِّد مذبذب يقول بالرجعة، وقد قال له رجل من ثقيف: بلغني يا أبا هاشم أنك تقول بالرجعة! قال: هو ما بلغك. قال: فأعطني ديناراً بمائة دينار إلى الرجعة! فقال له السيِّد: على

---

(١) أخبار القضاة ٢/ ٧٤، وقد أصلحنا بعض الأبيات بالرجوع إلى مصادر أخرى ذكرت هذه الواقعة.

أن توثّق لي بمن يضمن أنك ترجع إنساناً، أخاف أن ترجع قرداً، أو كلباً، فيذهب مالي[١].

وأخرج الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) بسنده عن محمد بن جعفر الأسامي، قال: كان أبو حنيفة يتّهم شيطان الطاق بالرجعة، وكان شيطان الطاق[٢] يتّهم أبا حنيفة بالتناسخ، قال: فخرج أبو حنيفة يوماً إلى السوق، فاستقبله شيطان الطاق ومعه ثوب يريد بيعه. فقال له أبو حنيفة: أتبيع هذا الثوب إلى رجوع عليّ؟ فقال: إن أعطيتني كفيلاً أن لا تُمسخ قرداً بعتك. فبُهت أبو حنيفة.

---

(١) الوافي بالوفيات ٩/ ١٩٨.

(٢) هو محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي مولى، الأحول أبو جعفر، كوفي، صيرفي، يلقّب بمؤمن الطاق وصاحب الطاق، ويلقبه المخالفون بشيطان الطاق، روى عن الإمام زين العابدين، والإمام الباقر، والإمام الصادق عليهم السلام. وكان له دكان في طاق المحامل بالكوفة، فيرجع إليه في النقد، فيرد ردًّا يخرج كما يقول، فسمّي شيطان الطاق. له كتاب (افعل لا تفعل)، وكتاب (الاحتجاج) في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وكتاب مجالسه مع أبي حنيفة والمرجئة. قال الشيخ الطوسي في الفهرست: ٢٠٧: وكان ثقة متكلماً حاذقاً حاضر الجواب. (رجال النجاشي ٢/ ٢٠٣ باختصار).

قال: ولما مات جعفر بن محمد، التقى هو وأبو حنيفة، فقال له أبو حنيفة: أمّا إمامك فقد مات. فقال له شيطان الطاق: أما إمامك فمن المنظَرين إلى يوم الوقت المعلوم[1].



(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٤١١.



خاتمة

بعد هذا البيان كله يتضح جليًا أن الرجوع إلى الحياة الدنيا من بعد الموت أمر ممكن عقلاً، بل هو واقع في الأزمنة السالفة، وواقع في هذه الأمة كما مرَّ، بل سيقع في آخر الزمان حتماً.

وهذا الذي قلناه هو الذي نطقت به الآيات القرآنية الشريفة، ودلّت عليه الأحاديث الثابتة عند الشيعة وأهل السنة، فلا مناص حينئذ من الاعتقاد بالرجعة، ولا سبيل إلى جحدها وإنكارها.

وسواء أثبتت الرجعة كما يقول الشيعة الإمامية، أم لم تثبت كما يقول أهل السنة، فإنها تبقى مسألة خلافية يجوز فيها الاجتهاد، ولا يحق لمنصف أن يعمد إلى تكفير القائلين بها أو تفسيقهم، ولا سيما أنها لا تُعد من أصول مذهب الشيعة الإمامية، ولا يضر جهل الشيعي بها، ومن قال بالرجعة إن كان مخطئاً فخطؤه ناشئ عن اجتهاد منه، ولا يستلزم القول بها إنكار أصل من أصول الدين، أو جحد

آية من آيات الكتاب العزيز، حتى يلزم تكفيره، أو تفسيقه، أو رد روايته.

ولئن كان أعلام أهل السنة السابقون يحملون على من يقول بالرجعة، ويضعّفون الراوي لأجل ذلك وإن كان صدوقاً ثبتاً، إلا أنه لا يجب تقليدهم في هذه المسألة، واللازم هو النظر في أدلتهم بإنصاف، لقبولها أو ردّها، من أجل الوصول إلى قناعة جديدة حول هذه المسألة، وحول تقييم القائلين بالرجعة.

هذا ما أردنا بيانه في هذه الرسالة الموجزة، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يرينا الحق حقًّا، ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً، ويرزقنا اجتنابه، وألا يكلنا إلى أنفسنا فنتبع هوانا، إنه على كل شيء قدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيّدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.



المحتويات